

الوافي في الوفيات

أرسلت تسأل عني كيف كنت وما ... لاقيت بعدك من همٍّ ومن حزن .
وقيل أن بعضهم كتب إلى أبي القاسم سمنون بن حمزة الزاهد يسأله عن حاله . فكتب إليه
هذين البيتين . وكان جدّه مجوسياً وصحب الجنيد ومن في طبقتة . وأفتى أكثر علماء عصره
بإباحة دمه . ويقال أن أبا العباس ابن سريج كان إذا سئل عنه يقول : هذا رجل خفي عني
حاله وما أقول فيه شيئاً . وكان قد جرى منه كلام في مجلس حامد بن العباس الوزير بحضرة
القاضي أبي عمر . فأفتى بحلِّ دمه . وكتب خطّه بذلك وكتب معه من حضر المجلس من الفقهاء
فقال لهم الحلّ : طهري حميّ ودمي حرام وما يحلّ لكم أن تتأوّلوا عليّ بما يبيحه .
وأنا اعتقادي الإسلام ومذهبي السنّة وتفضيل الأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين وبقية
العشرة الصحابة رضوان الله عليهم . ولي كتب في السنّة موجودة في الوراقين فافهم في
دمي . ولم يزل يردد هذا القول وهم يكتبون خطوطهم إلى أن استكملوا ما احتاجوا إليه .
ونهضوا من المجلس وحمل الحلّ إلى السنّين . وكتب الوزير إلى المقتدر يخبره بما جرى في
المجلس وسيّر الفتوى . فعاد الجواب بأن القضاة إذا كانوا أفتوا بقتله فليسلم إلى
صاحب الشرطة وليتقدّم إليه بضربه ألف سوطٍ . فإن مات من الضرب وإلا ضرب مرةً أخرى ألف
سوطٍ ثم تضرب عنقه . فسلّمه الوزير إلى الشرطي وقال له ما رسم به المقتدر وقال : إن لم
يتلف بالضرب فتقطع يده ثم رجله ثم يده ثم رجله ثم تحزّ رقبتة وتحرق جثته . وإن خدعك
وقال لك : أنا أجري الفرات ودجلة ذهباً فلا تقبل ذلك منه ولا ترفع العقوبة عنه . فتسلّمه
الشرطي ليلاً وأصبح يوم الثلاثاء لسبعٍ بقين أو لستٍ بقين من ذي القعدة سنة تسعٍ وثلاث
مائة . فأخرجه عند باب الطّاق واجتمع من العامّة خلق كثير لا يحصى عددهم . وضربه
الجلاد ألف سوطٍ ولم يتأوّه بل قال الشرطي لما بلغ ستّ مائةٍ : ادع بي إليك فإنّ لك
عندي نصيحةٌ تعدل فتح قسطنطينيّة . فقال له : قد قيل لي عنك أن تقول هذا وأكثر منه
وليس لي إلى أن أربع الضرب عنك سبيل . فلما فرغ من ضربه قطع أطرافه الأربع ثم حزّ رأسه
وأحرق جثته . ولما صارت رماداً ألقاها في دجلة . ونصب الرأس على الجسر ببغداد وجعل
أصحابه يعدون نفوسهم برجوعه بعد أربعين يوماً . واتّفق أنه ما زادت الفرات تلك السنة
زيادةً وافرةً فادّعى أصحابه أن ذلك بسبب إلقاء رماده فيها . وادّعى بعض أصحابه أنه
لم يقتل وإنما ألقى شبهه على عدوه . انتهى . قال الشيخ شمس الدين : قتلوه على الكفر
والحلول والانسلاخ من الدين نسأل الله العفو . كان قد صحب الجنيد وعمرو بن عثمان المكي
وغيرهما . وقد أفرد ابن الجوزي أخباره في تصنيف سماه القاطع لمحال الحاجِّ بمحال

الحلاج . أفتى الفقهاء ببغداد بكفره . ومن نظر في مجموع أمره علم أن الرجل كان كذاباً
مموهاً ممخرقاً حلولياً له كلام يستحوذ به على نفوس جهال العوام حتى ادعوا فيه
الربوبية . وكان قد قبض عليه بالسوس وحمل إلى علي بن أحمد الراسبي فأقدمه إلى الحضرة .
فجرى ما جرى وظهر ببغداد وبالأهواز أنه ادعى الإلهية وأنه يقول بحلول اللاهوت في الاشراف
 . ووجدوا في منزله رقاعاً فيها رموز . ويكتب إلى تلاميذه : من الذور الشّعشعاني . قال
مجد الدين ابن النجار وذكر سنداً منه يتصل بالقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز
الجرجاني . حكى عن أبي الحسن العناد الصوفي أنه قال : حضرت بعض عقبات أصبهان فرأيت
شيخاً ينزل عن العقبة فكان الشيخ الحسين بن منصور الحلاج فعرفته بصفته فسلمت عليه
فرد السلام وقال : أغلام النوري ؟ قلت : نعم . قال فجلس على حجرٍ وقال : من الوافر .
لئن أمسيت في ثوبي عديمٍ ... لقد بليا على حرٍّ كريم .
فلا يغررك أن أبصرت حالاً ... مغيّرةً عن الحال القديم .
فلي نفسٌ ستتلف أو سترقى ... لعمرك بي إلى خطبٍ جسيم .
فقلت : الصُّحبة فقال : الصُّحبة صعبة وأشار بيده إلى الهواء فطرح في ركوتي عشرة
دنانير . ثم لم ألتق معه إلى حين . ثم التقينا بجبال فارس فسلمت عليه فقال : أغلام
النوري ؟ قلت : نعم فجلس فقال : اكتب : من مجزوء الكامل .
دنيا تغالطني كأنِّي لست أعرف حالها .
مدّت إليّ يمينها فرددتها وشمالها .
ورأيتها مكاراةً فوهبت جملتها لها